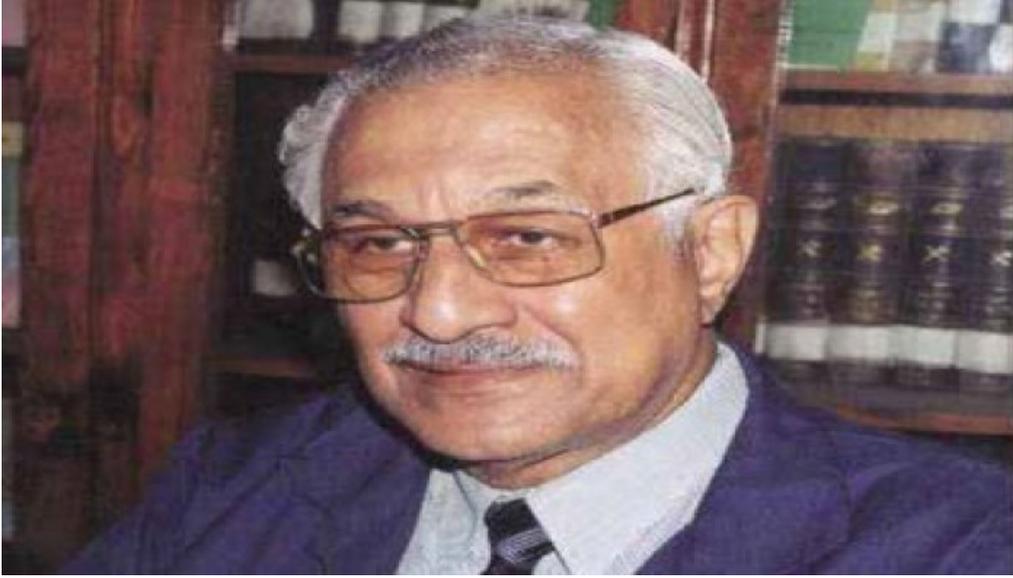


د. جابر قميحة.. أستاذ الجيل ومفكر الدعوة



الأربعاء 21 يوليو 2021 03:04 م

بقلم: د. جمال ماضي

أولاً: عن أول لقاء معه

مشاهد كثيرة ومؤثرة تلك التي جمعتني مع أستاذي الدكتور جابر قميحة، ولا أدري عندما تلقيت خبر وفاته- صباح يوم الجمعة التاسع من نوفمبر عام 2012 م- بأي هذه المشاهد أبداً، وكلها في أعماق الروح والفؤاد، ولكنني سأبدأ بأول لقاء جمعتني مع أستاذ الجيل، في القاعة الرئيسية بنقابة المهندسين بالقاهرة في عام 1993 م، وقد أخذ بعقلي وقلبي وهو يلقي علينا قصيدة عن فلسطين؛ حيث كنا في اجتماع للجنة مناصرة فلسطين التابعة آنذاك لنقابة المهندسين، وكنت أمثل فيها الإسكندرية، فوجدني منجذباً للسلام عليه واحتضانه، والتقى صدري بصدرة، ومن يومها يجمعنا حب عميق، وارتباط وثيق، كلما التقينا يقول للحاضرين: (الماضي ده سيك منه)، وكلما أقبلت علي رأسه مقبلاً رأسه، دعا لي بدعوته الشهيرة: (حياك الله وبياك، وجعلك من كبار الملاك، ونحن دائماً وياك، وحنمشي وياك، وهات الفرش اللي معاك)، بهذه الهشاشة كان يبدأ لحظته معك، بهذه البساطة كان يجذبك إليه، حتى تجلس إليه وكأنك مع نفسك، وهو الذي في رأسه حكمة العلماء، وفي صدره خشية المتقين، وفي عقله مشروع لنهضة الأمة، وفي تاريخه تجربة طويلة؛ حيث طاف بلدان العالم معلماً ومحاضرًا ورائدًا وأستاذًا، في الكويت والسعودية وإسلام آباد والولايات المتحدة الأمريكية، وقد ترك الثمار الياقة في ربوع أمتنا الإسلامية، من تلامذة نجباء ساروا على درب، في مشارق الأرض ومغاربها، ومن قراء نهلوا من أبحاثه وكتاباته وكتبه في شتى المجالات: في الأدب والشعر والتراجم وقضايا الأمة والدعوة والتربية والسيرة والإعلام والسياسة، فكان بحق أستاذ الجيل ومفكر الدعوة.

ثانياً: عن فلسطين التي في دمه

من قصائده المؤثرة تلك التي كتبها عن فلسطين، ومن كتبه الرائعة تلك التي كتبها عن فلسطين، وكان فلسطين تجري فيه مجرى الدم، ولا أنسى يوم أن دعوناه بالإسكندرية، في مهرجان عن القدس فلبى الدعوة رغم مرضه وصعوبة انتقاله من القاهرة، وكنت أقدم هذا المهرجان، وكنت مشفقاً عليه وهو يجلس على المنصة من الإلقاء ومشقته، ولكن بمجرد الانتهاء من تقديمه، إذا بروح فتية تلقي سحرًا، في جسد شاب جلد قوي، بصوته الجهوري

ووقفاته البلاغية وجمال إلقائه الذي ينفذ إليك فتبحر في عالم آخر، وعندما تكون القصيدة عن فلسطين التي في دمه، فكأن دماؤه تختلط بدمائك، وكيانه يمتزج بكيانك، عن قضية الأمة وواجب الشرفاء نحو تحريرها من الصهاينة، فلم يقل يومًا إسرائيل بل كان يلقن الحاضرين بأن يقولوا الصهاينة.

ثالثًا: عن أسرار حديثه في منزله

في يوم مشرق من أيام القاهرة وفي منزله المنسق كقصائده، المرتب كبلاغته، يرحب بك محتفياً بقدمك، حتى تسبح في بحر كرمه، في نشوة عارمة، وسعادة لا توصف، التقينا، لإعداد حديث معه، يحدثنا بنفسه، ونسمع منه، وأعيننا في غاية متعتها وهي تتقلب بين الكتب، في مكتبته الخاصة التي تضارع مكتبات الجامعات العريقة، لقد أسرعت إليه لمساعدته في الجلوس على المقعد، وما كنت أدري أنه هو الذي يساعدني بحركاته المبهجة وكلماته التي تفتتح اللقاء بإدخال السرور عليك دون استئذان، وكنت بعد التسجيل وبين الفينة والفينة أتمتع بمقدمة حديثه، فإنني أقدمها بين يديك للتأمل وهي تحتاج إلى شروح، ولكنها تفرس في النفس معانٍ لا تزول، قال في مقدمة حديثه:

(أحمد الله سبحانه وتعالى، الذي تستدفع به المحن، وتستجلب به النعمة والمنة، والقريب من عابديه، الداني من سائله، الواعد بالجنة من يطيعه، والموعود بالنار من يعصيه، وأصلي وأسلم، على حبيبنا وزعيمنا وقودتنا، ونور أبصارنا وبصائرنا، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، تركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يربغ عنها إلا هالك).

رابعًا: مواقف من طفولته استمرت معه في شبابه

ولد عام 1934 م بالمنزلة، لأبوين لا يعرفان الكتابة والقراءة، وأبوه هو: المتولي محمد على محمد قميحة، وكان يلقب ابنه جابر بآخر العنقود؛ حيث كان محبوبًا من الأسرة، وكما يقول هو: (كنت دلوعة الأسرة)، حفظ في كتاب القرية القرآن الكريم، ثم التحق من سن الخامسة بالمدرسة الإلزامية، ثم الابتدائية، ثم الثانوية، وكان ترتيبه الأول في كل مراحل التعليم، خاصة اللغة العربية، ومن مواقف الطفولة والشباب:

- كان مشغوفًا بالقراءة منذ نعومة أظفاره، وعن شغفه بالقراءة، وهو طفل صغير، روى لي فائلاً: (رزقني الله حب القراءة فأنا مريض بالقراءة، كان أبي يخاف عليّ، وينزع الكتاب مني ويقول: (كفاية عينك حصى كده)، ومع ذلك كان يفرح حينما أقرأ له، وأنا مازلت صغيرًا)، وعندما أصبح شابًا تكونت لديه مكتبة عامرة، يقول: (كانت أمي تسألني: هل قرأت هذه الكتب؟ فأقول: نعم، ثم تسألني: هل فهمت هذه الكتب؟ فأقول: نعم، فتقول: ما دمت قد فهمتها فلماذا لا تبعها إلى محل البقالة تستفيد من ثمنها؟ ما دمت فهمتها فلماذا تحتفظ بها؟ ومازلت عاجزًا عن إجابة سؤال أمي هذا؟، وكنت أقول لزوجتي: (كلما أقتني كتابًا جديدًا، كأنني تزوجت حورية!! وأدعو الله أن يجعلني إن كنت من أهل الجنة في مكتبة بين الكتب!).

- عندما بلغ عشر سنوات، حكى لي وكأنه عاد إلى طفولته ببهجتها وعفويتها، وحديثه يظهر على أسارير وجهه في براءة، وكلماته التي تغير فيها صوته، ومالت الحروف إلى مخارج صوت الأطفال، لن أستسهل في وصف المشهد، بل أتركك مع حديثه كما يرويه، ولك أن تتخيل ذلك، عن موقف الطفل ذي العشر سنوات يقول: (في يوم فوجئت بما بهرني، لا يقل العدد عن 500 من الجواله ومعهم طبولهم وأبواقهم، في عرض عسكري، وفي زي موحد، ومعهم رايات فيها سيفان ومصحف، أمامهم من يمسك مصحف كبير، أصابني الدهول، وسرت أنابعم، من متعني أريد أن يستمروا، وفوجئت بكلمة (قف) وأنا أسمع (الله أكبر والله الحمد) فتجعلني أكاد أطير، وأخشى من انتهاء العرض، وبخطواتي الصغيرة أجري معهم، وعدت إلى البيت حزينًا وسعيدًا، سعيد برويتهم وحزين لانتهاء العرض)، وهكذا انطبع في ذهن الطفل الصغير أول رؤية لجواله الإخوان المسلمين، وكان يقول مبتسمًا وكأنه ينظر إلى حاله وهو صغير: (كنت أصغر جوال، وأقصر جوال، وأنحف جوال، في صف الإخوان).

- وتعود الذاكرة بأستاذنا مرة أخرى إلى زمن الطفولة، ومشاعره مع أول رؤية للإمام حسن البنا؛ حيث يقول: (اصطحبني أبي في سهرة، أمام مدرسة عبد السميع، في ميدان واسع، وفجأة لا أنسى هذه اللحظة، وجدت آلاف الحناجر تردد: (الله أكبر والله الحمد)، (الله غايتنا والرسول زعيمنا)، ورأيت: (رجل عليه هبة، ومعه أكبر أعيان البلد، كان الإمام حسن البنا في وجهه نور، وصعد المنصة، ولمدة 4 ساعات: شبه الإسلام بسفينة (المنزلة منطقة بحارة) وجعل الأمة هي جسم السفينة، والحكومة هي الدفة، والشرع هي قوة الإيمان)، ثم يقول: (وكان وهو يتحدث كأنه ينظر إليّ كأنما يخصني أنا بخطابه فصرت مجذوبًا إليه)، يقول عن هذا بعد تجربته وخبرته في شبابه: (من دراستي أمنت بأن الله منح من أخلص له ما أسميه (البلاغة الإيمانية) غير البيان البليغ الذي لا يؤثر في الناس، وأنا أعرف البلاغة الإيمانية، بأنها طاقة إيمان وحرارة إيمان، زاد وقاص حتى تسلك إلى قلوب الجميع، فشعر كل واحد به، فكأن إيمان الإمام البنا وزع على الحاضرين)، ومن ثم ألف كتابه: (الإمام الشهيد حسن البنا بين السهام السوداء وعطاء الرسائل).

- حينما استشهد الإمام البنا في عام 1949 م، كان عمر أستاذنا الجليل خمسة عشر عامًا، يقول عن وصف هذه اللحظة: (لم أحدثه ولكن دخل في أعماقي، وحينما استشهد بكيت بكاءً مرًا، ومن ارتفاع صوتي جاني أبي فوجدت دمعين في عينيه، وكنت أتعلل له بالسعال، فقال لي: يا ابني لا كحة ولا سعال أنت بتبكي بسبب قتل (الشيخ حسن البنا) وارتميت على صدره وزاد بكائي، وهو يربط على كتفي، قائلاً: (البلد ما لهاش حظ في الناس الكويسين)، وبعد فترة جاء جاكسون، يقول نفس كلام أبي، في كتابه حسن البنا الرجل القرآني: "كان يجب أن يموت لأن هذا الشرق ليس له حظ في القيادات الشامخة".

- وبعد عامين من استشهاد الإمام البنا يظهر لأول مرة في حياة أستاذنا الجليل، كتابة الشعر، فكانت أولى قصائده عن الإمام البنا، تحت عنوان: رأيت... أمامه من القلوب ألف ألف تسمع، ثم يقول فيها:

قل يا إمامنا حسن فكل ما تقوله حسن

وإنك البناء في السراء والمحن

والقصيدة بأكملها في ديوانه: (على هؤلاء بشعري بكيت)، ومن هنا بدأ الشعر في حياة الشاعر الكبير الدكتور جابر قميحة، ولذلك كان له رأي خاص في الشعر، وكان دائمًا ما يردده: (كل شيء إرادي ما عدا الشعر، الشعر هو الذي ينظمنا ولا ننظمه، لا أكتب الشعر حتى ألهمه، فإن طلب مني أحد أن أكتب شعرًا، قلت له: أمهلني، ثم ألهم القصيدة).

خامسًا: عن علمه ودراساته وآرائه وفكره

- كان الأول على مدرسته والأربعين على مستوي القطر المصري آنذاك، مما أهله ذلك في التقدم إلى كلية دار العلوم، مدفوعًا بحبه للإمام البنا، فقد أسر إليّ بقوله: (كنت أريد أن أكون تلميذًا وفتيًا للإمام حسن البنا)، وحقق الله حلمه وأمنيته، فقد كانت المسابقة قاسية التي تقوم بها دار العلوم للقبول بها، فقد تقدم 600 طالب، لم يقبل منهم إلا 300 فقط؛ حيث كان ترتيبه الأول في التعبير والأدب والشعر بنسبة 96%، ومن ذكريات مواقف المسابقة، أنه كان بصريًا بمعنى يقرأ القصيدة ثلاث مرات ثم يتصور الصفحة، وكأنه كان يقرأها، وهذا إلهام من الله للمخلصين من دعائه، فقد سأله الدكتور عمر الدسوقي: أتحفظ شعرًا فقال: اختر أنت لي؟ فسأله: هل تحفظ المعلقات؟ فقال: نعم، فاختر له الأستاذ أصعب معلقة (عبيد بن الأبرص) الذي فوجئ بالقائمه كاملة، فسأله: من أنت؟ فقال الشاب جابر قميحة: أنا طالب أمام أستاذ.

- عندما تخرج من دار العلوم عام 1957 م، عيّن مدرسًا ثم موجهًا للغة العربية، ثم أعير إلى الكويت، ومن جامعة الكويت حصل على رسالة الماجستير بعنوان: الفن القصصي في شعر خليل مطران، عام 1974 م، وكان يقول عن خليل مطران: مع أنه كان مسيحيًا إلا أنه كان يردد في شعره الكثير من المعاني الإسلامية، وعندما سأله عن سبب اختياره لخليل مطران، قال: كان السبب عبد الناصر! كيف؟ فقال: هو الوحيد من صور شخصية عبد الناصر وجريمة الأمة في السكوت عليه وعبر عن مسؤولية الأمة في النهضة والصحو؛ وذلك في قصيدته: النيرونية، يقول فيها خليل مطران:

من يلم نيرونا إني لائم أمة لو قهرته لارتد قهرا

كل قوم خالق نيرونهم فيصر قيل له أو قيل كسرى

ولذلك كان الدكتور جابر قميحة يلحن تلاميذه رأيه بوضوح قائلاً: (الشعب هو الذي يصنع نيرونه أو فرعونه، (فاستخف قومه فأطاعوه)، لو أن الحاكم لم تقدم له وردة، وقدمت له مقاومة عندما يتنكب الطريق، لرأينا كلمة (اتق الله) فقد قيلت للنبي صلى الله عليه وسلم وقيلت لعمر بن الخطاب، ولكن الأمر يحتاج إلى تربية الشعب تربية طيبة، فأشد الأمراض على نفسية الأمة النفاق، ومن ثم لم يكن غريبًا عليه أن تأتي مؤلفاته حول هذا المعنى في هذه الكتب: في صحة المصطفى، أدب الخلفاء الراشدين، المعارضة في الإسلام بين النظرية والتطبيق، وكان له رأي خاص في كلمة المعارضة: (لا مانع أن نستعير كلمة مستحدثة لموجود قديم، فالمسلمون لم يعرفوا مصطلح حرب الأعصاب، ما المانع من أن نستعمله اليوم لموجود قديم).

- وفي عام 1979 م، حصل الباحث جابر قميحة على درجة الدكتوراه في: (منهج العقاد في التراجم الأدبية)، في كلية دار العلوم التي تخرج منها، ومن ثم التحق في السلك الجامعي مدرسًا بكلية الألسن بجامعة عين شمس بالقاهرة، ومن هنا برع الدكتور فيما أطلق هو عليه: (فن التراجم)، فكانت من مؤلفاته: أولاً عن الشخصية التي أثرت على مسيرة حياته (الإمام البنا) ثم هذه الكتب في التراجم: ملحمة الكلمة والدم الشاعر الفلسطيني عبد

الرحيم محمود، التراث الإنساني في شعر أمل دنقل، صوت الإسلام في شعر حافظ إبراهيم، وكان من آرائه الجامعة في التراجع: أنها تضيف عمراً إلى العمر، بمعنى حياة جديدة، من العمر المعنوي، وكان يردد قول الشاعر :

ومن وعي التاريخ في صدره أضاف أعماراً إلى عمره

وقد حقق في حياته ذلك عبر الرحلة العلمية التي منحها الله إياها؛ فقد أغير لمدة خمس سنوات إلى الجامعة الإسلامية بإسلام آباد، ثم بعدها وجهته وزارة التعليم العالي بمصر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لمدة سنة، لتدريس الأمريكان اللغة العربية، ثم كانت المرحلة الأخيرة من أسفاره العلمية لمدة ثماني سنوات في جامعة الملك فهد بالظهران بالسعودية؛ حيث تفرغ بعدها للدعوة والكتابة، ويقول عن ذلك: (وأنا سعيد بعملتي وأدعو الله أن يمكنني من أداء رسالتي؛ حيث أشرف على عدة رسائل ماجستير ودكتوراه، وأسأل الله أن يكون ذلك في ميزان حسناتي).

سادساً: عن جهوده في خدمة الدعوة

- في عام 1965 م تخرج من كلية الحقوق، ثم حصل في عام 1967 م، على دبلوم الشريعة الإسلامية، وكان من خير أقدار الله تعالى أن كانت الدراسات العليا في الأدب، وليس في القانون، فتوالت جهوده في خدمة الأدب العربي، فكان من مؤلفاته الأدبية: التقليدية والدرامية في مقامات الحريري، كلمات في التراث العربي، آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وجناية التطرف، ولكن دراسته القانونية والشرعية، أكسبته، أن يطوع الأدب والشعر لخدمة الدعوة، فوجه كتاباً للإعلاميين والدعاة: أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في اللغة العربية، وكان يلقت ذلك لتلامذته من الدعاة والعلماء والإعلاميين قائلاً: لا يجني على اللغة العربية إلا أهلها.

- كان شاهد عيانٍ على أكبر حدثين في تاريخ الدعوة، وكتب عنهما وسجلهما على الحقيقة والمشاهدة والرؤية في مجلة "المجتمع" الكويتية وصحيفة "آفاق عربية":
الحدث الأول: مظاهرة عابدين في عام 1954 م؛ حيث يقول: (ذهبتنا باكراً إلى جامعة القاهرة، وسرنا أكثر من 36 ألفاً إلى قصر عابدين، ولصوتي الجمهوري كنت في الصف الأول، نردد (انتصر الشعب فجاء نجيب)، وعند الكوبري استقبلنا الجنود بضرب النار، حتى إن الذي بجواري خرجت أعضاؤه، أما أنا فقد أنقذني قدر الله من القتل، وبعد عدة مغامرات وصلنا إلى القصر، نردد مع الآلاف: "إسلامية إسلامية، لا شرقية ولا غربية"، وكانت المصاحف كالطيور، ورفعنا مناديل بدماء الجامعة، وعجز نجيب عن صرف الجماهير الحاشدة، فنادى الشهيد عبد القادر عودة من بين الصفوف، الذي وقف بجواره يقول للإخوان: (الإخوان يريدون محمد نجيب ما دام يتبع الحق، ويؤيدون مصر دستورية، ثم أشار فقط وكأني أنظر إليه الآن) قائلاً: (الآن انصرفوا دون هتاف) وأشهد الله خمس دقائق على الأكثر، ولا يوجد أحد داخل سور عابدين، ولا بجواره، وانتهى الموقف، ورأيت بعدها وقد غمرتنا الفرحة بموقف الإخوان، الأخ حسن عبد الغفور بيكي، فسألته مندهشاً، عن بكائه في يوم فرحة فقال: لقد حكم عبد القادر عودة على نفسه بالإعدام، إن عبد الناصر من النوع الذي لا يعرف السماحة ولا يعرف إلا نفسه، وما قاله قد تحقق بالفعل).

والحدث الثاني: ما أسماه، مسرحية أو تمثيلية حادث المنشية، الذي كان ذريعة عبد الناصر في محنة الإخوان والدعوة، وقد كتب عدة مقالات مستنداً في ذلك من كتابات ومصادر غير إخوانية.

- شارك في عدة مؤتمرات عالمية بأبحاث دعوية، منها مؤتمر الإسلام اليوم، في إسلام آباد، مع كبار دعاة الأمة، ومؤتمر الشباب بأمريكا، ورغم الجليد كان يقول للحاضرين: من أوصلك إلى هنا يا حسن البناء؟ كما شارك في عدد من اللقاءات الدعوية العالمية، وكان من فهمه العميق لجماعة الإخوان المسلمين: أنها ثلاثية بمعنى (جمعية وجماعة وتيار)، وبعد الاتساع اليوم هي تيار عالمي، ويقول: (فنحن نعيش اليوم عصر التيار الإسلامي، والتيار لا يستطيع أحد أن يتحكم فيه، لأنه أكبر من طاقات البشر، فهو في كل أنحاء العالم اليوم في المشرق والمغرب)، حتى أن أحد تلامذته من إندونيسيا كانت رسالته في الدكتوراه عن حسن البناء، وكأني في عجب وهو يتساءل: (من الذي أتى بحسن البناء إلى إندونيسيا؟).

- احتسب عند الله كل لحظاته للدعوة، فرغم السن والمرض وصعوبة الحركة، كانت بهجتنا كل يوم أحد، وهو يشارك فضيلة المرشد، في لقاء أسبوعي، حول الرسالة الأسبوعية، وكلما سيج فضيلة المرشد حول خواطره، ونقل الحضور إلى عالم روحاني غير الدنيا، يرجع إلى الدكتور قميحة فيشارك بخبايا لغوية وأدبية وبلاغية لها سحر وبيان، فكان اللقاء من الجنة، أو في الجنة، ومما يزيد بهاءً وبهجة، مظاهر الحب العجيب والمتبادل بين فضيلة المرشد الدكتور محمد بدیع وبين الدكتور جابر قميحة، أو بين الدكتور جابر وفضيلة الأستاذ عاكف المرشد

السابق بالخبرات، كما يطلق عليه الدكتور بديع، ومن طرائف هذا اللقاء هذا التحليل الرائع من الدكتور قميحة وهو يقول عن النظام البائد، أنه كان يردد: (لا يوجد شيء اسمه الإخوان)، فكان يروي لنا أن عليًا بن الحسين طاف بالكعبة والناس حوله تقبله وتلتحم به، وقد تكاثرت حوله، والخليفة قد طاف ولم يصنع معه أحد شيئًا، فأراد تحقير ابن الحسن، فقال سائلًا: من هذا؟ فقال الفرزدق:

هذا الذي تعرفه البطحاء وطأته والأرض تعرفه والحل والحرم

وليس قولك من هذا؟ بضائره العجم تعرفه من أنكرت والعجم

ولذلك كان له رأي يجهر به، في ظل النظام السابق وظهر في كل مقالاته، عن النظام المستبد البائد بلا رجعة، مستنداً بحديث السائل عن الساعة؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، وإذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)، فكان يعقب على الحديث بقوله: "نحن نعيش عهد تضييع الأمانة، وأن يتولى الحكم غير أهله، لا علم له، ولا خبرة له، ولا ضمير له، كل همهم شعارهم المعروف: الفساد للركب، ويحرصون على قولهم: لا يوجد شيء اسمه الإخوان!.

ومن مشاركاته التي كان يصعد بها في مؤتمرات الإخوان يعبر فيها عن إرادة الأمة في أن الإسلام هو الحل، وربما تكون هديته للشعوب النائرة الأبية اليوم في العالم:

هذي الحشودُ تعالَى اللهُ جَمَعَهَا

على شِعَارٍ عَدَا لِلنَصْرِ عَنَوَانًا

نَادُوا "هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ لَا مِثْلَ لَهُ

فزلزلوا مِن بِنَاءِ البَغِي أَرْكَانًا

الحلُّ في الدِّينِ لَا فِي غَيْرِهِ أَبَدًا

سَرَعُ تَجَلَّى لَنَا رَوْحًا وَرِيحَانًا

من سَنَةِ المصطفى كَانَتْ مَنَاهِلُهُ

وكانَ دَسْتُورُهُ نورًا وَقُرْآنًا

بَنَى الحضاراتِ صرْحًا شامخًا أَبَدًا

عِلْمًا وَعَدْلًا وَإِنصافًا وَعِرفانًا

شَتَّانَ بينَ شِعَارِ صُنْعِ خَالِقِنَا

وبينَ ما ابتدعوا شَتانَ شَتانًا

فالحكمُ لله حَقٌّ ليس يُنكرهُ

إلا جَهولٌ مَضَى في الإنمِ خَسراتًا

مِن عُصْبَةٍ حُكِّمُوا فينا يَظْلِمُهُمُو

والظلمُ صيرهم صُفًّا .. وَعُميانا

قد صَلَّ سَعْيُهُمُو، وازدادَ بَغْيُهُمُو

واستمرُّوا النهبَ حيتانا وغيلانا

من يَصِفُ قَرينِ وهذا الشعبُ في محنِ

ولا سَمِيعٌ لما قاسى وما عانى

ذاقَتْ بهِ مِصرٌ دُلا ضارِبًا تَهُما

ومنْ صِنوفِ الأسيِ والهمِ ألوانا

كأنما مصرُ إرثٌ من جُدودِهِمْو
أُفَصَى لحكامنا تَهْبا وعدوانا
وقد يَنوُلُ إلى الأبناءِ بَعدَهُمو
وبعدَهُم لحفيدِ عُيِّبِ الآنا
لَهْفِي على مِصْرَ كانت قِمَّةً فَعَدْتُ
في طِلِّ حُكْمَهُمْو تحتلُّ قِيعانا
لَهْفِي على مِصْرَ كانتُ جنةً فَعَدْتُ
من المظالمِ أشواكا ونيرانا
لَهْفِي على مِصْرَ والتطبيعُ يخنقها
فأصبحَ الحُكْمُ للتفريطِ عنوانا
للعم "باما" علينا سطوةٌ غلبتُ
إِنْ شاءَ يأمرنا أو شاءَ ينهانا
لَهْفِي على مِصْرَ نامتُ عن تَعالِبها
وقد شَبَعْنَ وصارَ الشعبُ جوعانا
جوعٌ وفقرٌ وتَشْرِيدٌ ومَضِيعَةٌ
وبالطواريءِ حقَ الشعبِ قد هَانا
من أجلِ هذا رفَعنا رايَةً هَتَفْتُ
الحلُّ في الدينِ كي نرقى بِدُنْيانا
ما غيرُ إسلامنا عُرٌّ لحاضرنا
نقديةً بالدمِّ شريانا فشريانا
ما غيرُ إسلامنا نَبِيَّ به عَدَّنا
حتى يعيشَ به الإنسانُ إنسانا
سابعًا: وفي الختامِ تبقي وصاياهُ

- لقد رحل الدكتور قميحة تاركًا للأمة مشروعه الذي لم يكتمل، وربما يحمل لواءه أحد تلامذته النجباء فيكمل هذا المشروع الذي أصدر منه مرحلتين فقط في كتابين عن الأدب النصي للمرأة المسلمة، الكتاب الأول: خطبة السيدة عائشة تدافع عن أبيها، والكتاب الثاني: حديث الإفك على لسان عائشة.

- أما وصية الوداع فقد أجملها في إيجاز، حينما سئل: ماذا تقول عن نهضة المسلمين اليوم؟ في كلمة واحدة؟ كانت الإجابة أسرع من الريح: (العودة إلى أصفى منابع: القرآن القرآن، من هنا المنطلق ففيه الاعتزاز الديني والقومي والوطني).

وأختم بأمنية الدكتور جابر التي كان يريدُها من تلامذته وقرائه وإخوانه ومشاهديه:

(أريد أن أقول ويصل قولِي، أريد أن أتكلّم وتصل كلمتي، أرجو أن تعيشوها كما عشتها، فأكثر كلمة في القرآن (قل)، لكي يعطينا الله جوهر الإعلام المتجدد، (قل) فأنت تقول والذي يسمع يقول، (فالكلام بين مرأتين متطابقتين)، أتمنى أن يقول الإخوة ما وجدوه في كلامي حقًا).

